مِنْ أَمْجَادِ الْجَزَائِرِ

(1962 - 1830)

سِلْسِلَة تَارِيخِيَّة ثَقَافِيَّة تَصْدُرُ عَنْ وَزَارَة الْمُجَاهِدِينَ

الشَّهِيد

مُصْطَفَى ابْن بُولْعِيد

1956 - 1917

منشورات المتحف الوطني للمجاهد

تصدير

تصدر هذه السلسلة التاريخية المخصصة للشهداء الرموز الذين يزخر بهم تاريخ المقاومة والثورة التحريرية، لتنير أمام الأجيال ولاسيما الشباب معالم درب النضال والجهاد الذي شقه ملايين الشهداء الأبرار بدمائهم الزكية، وعبدوه بأجسادهم الطاهرة ليكون معبرا للجزائر ولشعبها إلى الحرية والاستقلال.

تعد هذه السلسلة مساهمة من وزارة المجاهدين في بناء الذاكرة الجماعية وإثرائها، تعزيزا للجهود التي ما فتئت الدولة الجزائرية تبذلها من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية، ودعم تواصل الأجيال وتلاحمها.

أرجو أن يجد الشباب الجزائري في هذه السلسلة ما يروي عطشه لمعرفة تاريخ بلاده وتضحيات شعبه خلال المقاومة والثورة التحريرية التي تعتبر مرحلة هامة في تاريخه المجيد.

محمد الشريف عباس

وزير المجاهدين

حقوق التأليف والنشر محفوظة للمتحف الوطني للمجاهد 2009

ر . د . م . ك : 978-9961-884-04-1
الإيداع القانوني : 2009-5451

المتحف الوطني للمجاهد

ص .ب 168 – المدنية – الجزائر
الهاتف : 00.213.021 . 66. 92. 08 – 65 . 45. 06
الفاكس : 00.213.021 . 66 . 91 . 54

البريد الإلكتروني : Email: mnm@museenat-moudjahid.dz

BP 168 EL - MADANIA - ALGER
TÉL : 00.213.021.66. 92.08-65.45.06
FAX:00.213.021.66.91.54

الشهيد

مصطفى بن بولعيد

1956 - 1917

يُعَدُّ الشَّهيدُ مصطفى بن بولعيد رَمْزاً من الرُّمُوز الوَطَنيَّة في منْطَقَة الأوْرَاس. عَرَفَ فيه سُكَّانُ المنْطَقَةَ مُنْذُ الصِّغَرِ عَدَداً من الخصَالَ هَيَّأتْهُ ليَكُونَ قَائداً ومَسْؤُولاً؛ من هذه الخَصَالَ الجُرْأةُ والشَّجَاعَةُ والاسْتقَامَةُ وحُسْنُ التَّفْكيرَ.

ولَعَلَّ قصَّةَ فرَاره من سجْن الكُدْيَة بقَسَنْطينَة رَغْمَ تَحصينَاته الشَّديدَة تُؤكِّدُ أنَّهُ رَجُلٌ مُتَميّزٌ في تَفْكيره، جَريءٌ في مَواقفه، مُقَدِّرٌ لنَتَائجِ كُلِّ عَمَلٍ يَقومُ بِهِ.

وُلدَ في الخَامس من شَهْر فبراير عَامَ 1917 من أُسْرَةٍ تَحْظَى بمَكَانَة اجْتمَاعيَّة لَدَى سُكَّان قَرْيَة (إينركب) بأرّيس التي تَلَقَّى فيهَا تَعْليمَهُ الدِّينيّ قَبْلَ الالْتحَاق بالمَدْرَسَة الفَرَنسيَّة بمَدينَة بَاتْنَة. وهُنَاكَ أَدْرَكَ بَسهُولَة البَوْنَ الشَّاسعَ بينَ مُعَانَاة الأهَالي ورَفَاهيَة المُعَمِّرينَ. ولَمّا خَافَ

عَلَيه أَبُوه من التَّأثّر بثَقَافَة العَدُوِّ، أَخْرَجَهُ من المَدْرَسَة الفَرَنسيَّة، ووَجَّهَهُ إِلَى التَّعْليمِ العَرَبيّ الحُرِّ ليَتَلَقَّى التَّعْلَيمَ الدِّينيَّ والوَطَنيَّ على يَد شُيوخٍ وَطَنيّينَ مُخْلصين. ولَمَّا اشْتَدَّ عُودُهُ، اسْتَعَانَ به وَالدُهُ في النَّشَاط الفلاَحيِّ والتِّجَاريّ. فلمَّا تُوَفِّيَ، تَكَفَّلَ مصطفى بشُؤون العَائلَة من بَعْده، ولاَزَمَ دُروسَ شُيُوخِ المَنْطَقَة تَنْفيذاً لوَصيَّة وَالده. وبَعْدَ ذَلكَ مَارَسَ نَشَاطَهُ الاجْتمَاعيَّ الخَيْريَّ لمُسَاعَدَة سُكَّان قَرْيَته الذين كَانُوا أَكْثَرَ فَقْراً وأَشَدَّ بُؤْسًا. هَاجَرَ إِلى فرنسا فتَوَسَّعَ أُفُقُ تَفْكيره، وازْدَادَتْ خبْرَتُه في الحَيَاة؛ فانْتَخَبَهُ العُمَّالُ رَئيسًا لفَرْعٍ نَقَابيّ للدِّفَاع عن حُقوقهم. لكنَّ مُقَامَهُ بفرنسا لَمْ يَطُلْ، فَعَادَ إِلى مَسْقَط رَأسه ليَسْتَأنفَ النَّشَاطَ الذي كان يَقُومُ به، وجَعَلَ مَتْجَرَهُ قبْلَةً للأعْيَان والوُجَهاء والعُلَماء من الوَطَنيّينَ، فعَلاَ شَأْنُهُ وتَفَتَّحَ فِكْرُهُ.

في عَـامِ 1939، اسْـتُـدْعِيَ لأدَاء الخـدْمَـة العَسْكَرِيَّـة الإجْبَارِيَّـة، وأثْنَـاء ذَلكَ تَمَكَّنَ من الْحُصُولَ عَلَى شَهَادَةَ تَقْدِيرِيَّةٍ كمُقَاتلٍ مقْدَامٍ، رَشَّحَتْهُ لَلتَّرْقِيَة في الرُّتَب العَسْكَرِيَّة. وبعد تَسْرِيحه، عَادَ إلَى نَشَاطه.وبَعْدَ انْدلاَعِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةَ الثَّانِيَة، اسْتُدْعِيَ مرّة أخْرَى للخدْمَة العَسْكَرِيَّة، فَالْتَحَقَ بهَا مُكْرَهًا، ممّا جَعَلَهُ يَتَمَرَّدُ عدَّةَ مَرّات على النّظام العَسْكَرِيّ، فَأوُدِعَ السّجْنَ بسَبَبِ تَمَرُّدِه، ولم يُفْرَجْ عنه إلاّ بَعْدَ نِهَايَتِهَا.

عَاشَ وَقَائعَ الثَّامن ماي 1945 الأليمَة، الَّتِي تَركَتْ أثَراً عَظِيمًا في نَفْسِه.

انْتَخَبَهُ تُجَّارُ المنْطَقَة مُمَثّلاً لهم ليُدَافعَ عَنْ مَصَالحهم لَدَى الإدَارَة الفَرَنْسِيَّة، ويُنَسِّقَ الجُهودَ فيما بينهم؛ فَأسَّسَ معهم جَمْعِيَّةً خَيْرِيَّةً، من بين أهْدافِها فَضُّ الخُصُومَاتِ بين سُكَّانِ القَرْيَة،

ومُسَاعَدَةُ الفُقَرَاءِ، وتَأسِيسُ المَساجِدِ للتَّعْلِيمِ وأدَاءِ الصَّلَوَات.

دَخَلَ مُعْتَرَكَ الحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ في أعْقَابِ حَوَادِثِ الثَّامِنِ مَاي بانْضِمَامِه إلَى خَلِيَّةٍ حِزْبِيَّةٍ مِن خَلاَيَا حِزْبِ الشَّعْبِ بِمَنْطَقَةِ أرّيس، كَانَ يُشْرِفُ عليها مُعَلِّمُهُ بمدرسة جَمْعِيَّةِ العُلَماءِ المُسْلِمِينَ الجَزَائِرِيِّينَ مَسْعُودْ بَلْعَقُونْ. وأثناءَ نِضَالِهِ في صُفُوفِ الحِزْبِ، أقْلَقَ حُكَّامَ المَنْطَقَةِ عَن طَرِيقِ الشَّكَاوَى والرَّسَائِلِ التي كان يَبْعَثُهَا إلى مَسْؤولِيهِم لِيُطْلِعَهُم على أخْطَائِهِم وتَجَاوُزَاتِهِم في حَقِّ الأهَالِي. ولَمّا أنْشِئَ التَّنْظِيمُ السِّرِّيُّ (المُنَظَّمَةُ الخَاصَّةُ L'O.S) في فبراير عَامَ 1947، انْضَمَّ إلى صُفوفه. وفي انْتِخابات المَجْلِسِ الجَزَائري عَامَ 1948، رَشَّحَهُ الحِزْبُ على رَأسِ قَائِمَةٍ من المُناضِلِينَ، فلمّا فَازَ في الدَّوْرِ الأوَّلِ فَوْزًا سَاحِقًا، حَرَمَتْهُ الإدارةُ الفَرَنْسِيَّةُ من

الفَوْزِ في الدَّوْرِ الثَّاني باللُّجوءِ إلى التَّزْوير، ثمّ حَاوَلَت اغْتِيَالَهُ لإبْعادِهِ عنِ النَّشَاطِ السِّيَاسِيِّ نِهَائِيّا.

أسْنَدَ إليه الحزْبُ مَهَمَّةَ تَشْكيل نَوَاةٍ للمُنَظَّمَة الخَاصَّة بالأوراس، فاجْتَهَدَ في اخْتيارِ الرِّجالِ المُؤَهَّلينَ للقيامِ بالعَمَلِ العَسْكَرِيِّ، وأمَرَهم بجَمْعِ الأسْلحَة والذَّخيرَة، والاحْتفَاظ بها لليَوْمِ المَوْعود، وأشَاعَ بَيْنَهم مَقُولَةً في غَايَةٍ من الذَّكَاء: ((مَنْ لا يَمْلكُ بُنْدُقيَّةً فَلَيْسَ برَجُلٍ))، ودَعَاهُمْ إلى القيَامِ بتَوْعيَة بَقيَّة أفْرَاد الشَّعْب ليَتَجَنَّبُوا ظَاهرَةَ تَبْذير الذَّخيرَة في الأفْرَاح. فلمّا اكْتَشَفَ العَدُوُّ أمْرَ المُنَظَّمَة الخَاصَّة، وشَرَعَ في اعْتقَال أعْضَائهَا، لَجَأَ الكَثيرُ منْهُم إلى الأوْرَاس، فَتَكَفَّلَ بإيوَائهم، وتَحَمَّلَ مَسْؤُوليَّةَ رعَايَتهمْ. ولَمَّا ظَهَرَ الصِّرَاعُ في قمَّة هَرَم حَرَكَة الانْتصَارِ للحُرِّيَّات الدِّيمُقْرَاطيَّة، اخْتَارَ مَوْقفَ

الحياد، لكنّه سَعَى بكُلِّ جُهْده لرَأب الصَّدْع، والتَّقْرِيب بين وجْهَات النَّظَر المُتَبَاعدَة. فلمّا تَأكَّدَ من أنَّ كُلَّ طَرَفَ مُصرٌّ على رَأيه، قَطَعَ صلَتَهُ بهم جَميعًا، ونَسَّقَ الجُهُودَ مع مَجْمُوعَةٍ من زُمَلائه السَّائرينَ على دَرْبه، فَتَوَصَّلُوا إلى عَقْد الاجْتمَاعِ التَّاريخيّ المَشْهُور يَوْم 25 جويلية من عام 1954 بالعَاصمَة، حَضَرَهُ (22) مُنَاضلاً، أسْفَرَ عن اتِّخَاذ قَرَارٍ حَاسمٍ يَدْعُو للتَّحْضير للعَمَل المُسَلَّح. ولَمَّا انْتَهَى الاجْتمَاعُ، افْتَرَقَ الحَاضرُونَ دَاخلَ الجزائر وخَارجَهَا، ليُبَلِّغُوا الغَائبينَ بمَا تَمَّ التَوَصُّلُ إلَيْه، فَتَوَجَّهَ هو إلى سويسرا، وأقْنَعَ مَن الْتَقَى بهم هُنَاكَ بالقَرَار الذي اتَّخَذَتْهُ المَجْموعَةُ بالجَزَائر، ثمّ عَادَ إلى الجزائر ليَجُوبَ أرْجَاءَهَا، ويُنَسِّقَ الجُهُودَ بين الأعْضَاء الذين حَضَرُوا الاجْتمَاعَ من أجْل التَّعْجيل بالثَّوْرَة التي بَاتَ منَ المُؤكَّد انْدلاَعُهَا. وبَعْدَ عِدَّةِ جَوْلاَتٍ، رَجَعَ إلى الأوراس ليَجْعَلَ

مِنْهُ أحَدَ مَعَاقِلِ الثَّوْرَةِ بِمُسَاعَدَةِ بَشِير شيهاني وعبّاس لغرور، وغَيْرِهِمَا من المُنَاضِلِينَ.

سَعَى لَيْلاً ونَهَاراً لعَقْدِ اجْتِمَاعَاتٍ مع مُنَاضِلِي الأوْرَاسِ ليَطَّلِعَ على عَمَلِيَّاتِ إحْصَاءِ المُنَاضِلِينَ والسِّلاَحِ والذَّخِيرَةِ، كَمَا قَامَ بِعِدَّةِ جَوْلاَتٍ لِيُعَايِنَ التَّحْضِيرَاتِ الجَارِيَةَ بِمَنْطَقَةِ الأوْرَاسِ، ويَطَّلِعَ على مَدَى دِقَّةِ التَّنْظِيمِ والجِدِّيَّةِ في العَمَلِ. فلَمَّا تَيَقَّنَ من أَنَّ الجَمِيعَ عَلَى أَتَمِّ الاسْتِعْدَادِ، أخْبَرَهُم بِمَوْعِدِ انْدِلاَعِ الثَّوْرَةِ، وحَدَّدَ لَهُمِ المَكَانَ والزَّمَانَ لاسْتِلاَمِ الأسْلِحَةِ التي كَانَ يَدَّخِرُهَا. وقَبْلَ انْدِلاَعِ الثَّوْرَةِ بِسَاعَاتٍ قَلِيلَةٍ، الْتَقَى بِقَادَةِ الأفْوَاجِ الذين عَيَّنَهم ليَطَّلِعَ على آخِرِ التَّرْتِيبَاتِ والاحْتِيَاطَاتِ، وأثناءَ اللِّقَاءِ، خَطَبَ فِيهِم خُطْبَةً مُؤَثِّرَةً شَحَذَتْ هِمَمَهُمْ، وأثَارَتْ في نُفُوسِهِم مَشَاعِرَ حُبِّ الوَطَنِ والتَّضْحِيَةِ من أجْلِهِ، ومِمّا قَالَهُ لهم: ((إخْوَانِي،

سَنَجْعَلُ الرَّصَاصَ اللَّيْلَةَ يَتَكَلَّمُ...))؛ وفعْلاً نَطَقَ الرَّصَاصُ في تلك اللَّيْلَة، فاسْتَيْقَظَتْ فَرَنْسَا في اليَوْمِ المُوَالي على وَقْعِ زِلْزَالٍ مُدَمّرٍ، وطُوفَانٍ جَارف، جَنَّدَتْ له الآلافَ من الجُنود، من بَيْنهمْ عَدَدٌ كَبيرٌ من المظَلِّيِّينَ، وألْصَقَتْ بالمُجَاهدينَ أبْشَعَ التُّهَمِ لتَشْويه سُمْعَتهم؛ وأصْدَرَ حَاكمُهَا العَامُّ بالجزائرِ بَيَانًا قَلَّلَ فيه من الخَسَائرِ وعَدَد العَمَليَّات، ووَعَدَ المُعَمِّرينَ بالقَضَاء العَاجِلِ عَلَى المُتَمَرِّدِينَ أيْ المُجَاهِدِينَ البَوَاسِلَ.

وَلَمَّا تَيَقَنَّ مُصْطَفَى بنْ بُولعيد بأنَّ فَرَنْسَا قَد أعَدَّت العُدَّةَ للْقَضَاء عَلَى الثَّوْرَة في مَهْدهَا، قَرَّرَ السَّفَرَ مَعَ بَعْضِ رفَاقه إلَى المَشْرق العَرَبي بهَدَف الدَّعْوَة إلَى نُصْرَة الثَّوْرَة وَجَلْبِ السِّلاَحِ مِنَ الدُّوَلِ الشَّقيقَة والصَّديقَة.

وَبَعْدَ شَهْرٍ من السَّيْرِ في ظُرُوفٍ صَعْبَةٍ غَيْرِ

آمنَة، وَصَلَ إلى الحُدُود اللِّيبيَّة التُّونسيَّة، وأَثْنَاءَ اجْتيَازه الحُدُودَ اعْتَرَضَهُ حَاجزُ نَصَبَهُ الصْبَايْحيَّةَ، فلَمّا أرَادَ أحَدُ عَنَاصرهَا القيامَ بتَفْتيشه أطْلَقَ عليه الرَّصَاصَ، فأَرْدَاهُ قَتيلاً، وفَرَّ مَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ. وَهُوَ يَحْملُ مُسَدَّسًا وبَوْصَلَةً. وأثْنَاءَ المُطَارَدَة في الظَّلاَم وَسَطَ الرِّمَال ضَاعَتْ منه البَوْصَلَةُ مع خَزْنَة الذَّخيرَة، فتَعَذَّرَ عَلَيه اسْتعْمالُ المُسَدَّس، ممّا سَهَّلَ للعَدُوِّ إلْقَاءَ القَبْضَ عَلَيه في صَبيحَة يَوم 13 فيفري 1955. وَبَعْدَ مُحَاكَمَته مَرَّتَيْن الأولَى في تُونسَ والثَّانيَةَ في قسَنطينة أوُدِعَ سجْنَ الكُدْيَة بقَسَنْطينَةَ في انْتظَار تَنْفيذ حُكْم الإعْدَام فيه مَعَ عَدَد منْ رفَاقه، ولكنْ هَيْهَاتَ للأسُود أن تَظَلَّ رَابضَةً بالسُّجُونِ، فَخَطَّطَ مع من كان مَعَهُ للفرَار.

في بدَايَة الأمْر، وَاجَهَ إدَارَةَ السِّجْنِ لتَرْفَعَ

القُيُودَ عن يَدَيْه، والأغْلاَلَ عن رجْلَيْه، لأنَّهَا وَضَعَتْهُ في زِنْزَانَةٍ مُظْلِمَةٍ وَحِيداً مُكَبَّلاً؛ فلمّا تَمَّ التَّخْفِيفُ عنه، صَارَ يَلْتَقِي بإخْوَانه في قَاعَةٍ مُحَصَّنَةٍ، فأظْهَرَ دَوْرَهُ القِيَادِيَّ مَع زُمَلائه، فكان يَؤُمُّهم في الصَّلَوَات، ويَرْفَعُ مَعْنَوِيَّاتِهِم في الخَلَوَات. وممّا كانَ يَقُولُه لهم:

((عَلَينَا أن نُحَاولَ الهُرُوبَ، ولو كَانَت نسْبَةُ النَّجَاحِ ضَئِيلَةً، فَالمُحَاوَلَةُ في حَدِّ ذَاتِهَا مَوْقفٌ بُطولِيٌّ، ورُجُولَةٌ، وعَمَلٌ يَدْعو إلَى الفَخْرِ...)).

نَظَرَ أَحَدُ السُّجَنَاءِ إلى القَاعَةِ الحَصِينَةِ، وقَالَ:

كَيْفَ نَفرُّ؟ ونَحْنُ في قَاعَةٍ جُدْرَانُهَا سَمِيكَةٌ مَبْنِيَّةٌ بالحجَارَةِ الصُّلْبَةِ الكَبيرَةِ، وهي إلى جَانب ذَلكَ بَعِيدَةٌ عَن الأسْوَارِ الخَارجِيَّة، وأبْوَابُهَا الحَدِيدِيَّةُ مُحَصَّنَةٌ بالسَّلاسِلِ والأَقْفَالِ!.

فَرَدَّ عَلَيهِ مصطفى قَائلاً:

أَعْرِفُ هذا، ولَكنْ لا نَيْأسُ من المُحَاوَلَةِ.

ثم الْتَفَتَ إلى بَقِيَّةِ السَّجَنَاءِ، وقَالَ:

مَنْ مِنْكُمْ مُطَّلِعٌ على خَبَايَا هَذَا السِّجْنِ، لِيُطْلِعَنَا على مَوْقِعِهِ من المَدِينَةِ، وَمَوْقِعِ قَاعَتِنَا من بَقِيَّةِ مَرَافِقِهِ؟.

فَتَقَدَّمَ أَحَدُهُمْ، وقَالَ:

أَنَا أَدُلُّكَ على ذَلِكَ، قَاعَتُنَا تَبْعُدُ عن مَخْزَنٍ يَقَعُ بالقُرْبِ من سُورِ السِّجْنِ الخَارِجِيِّ بِبِضْعَةِ أَمْتَارٍ.

وَمَاذَا يُوجَدُ بالمَخْزَنِ؟

تُحْفَظُ بِهِ الأسِرَّةُ وبَعْضُ المُهِمَلاَتِ.

حِينَئِذٍ، اسْتَبْشَرَ خَيْراً، وقَالَ:

هَذَا يَسْمَحُ لَنَا بِرَسْمِ خُطَّةٍ مِنْ أَجْلِ

الفِرَارِ. ثُمَّ طَلَبَ من الحَاضِرِينَ أَنْ يَتَعَاوَنُوا عَلَى تَصَوُّرِ خُطَّةِ الفِرَارِ.

وَبَعْدَ تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ، قَالَ أَحَدُهُمْ:

نَقُومُ باخْتِطَاف الحَارِسِ الَّذي يَتَرَدَّدُ عَلَى بَابِ الغُرْفَةِ، ونُجَرِّدُهُ مِنَ السِّلَاحِ، ثُمَ نُعَمِّمُ العَمَلِيَّةَ على بَقِيَّةِ الحُرَّاسِ، فَنَسْتَعِينُ بِأَلْبِسَتِهِمْ وأَسْلِحَتِهِمْ على الفِرَارِ.

وَبَعْدَ تَمَعُّنٍ في هَذَا الاقْتِرَاحِ، قَالَ مصطفى:

لَكِنّ عَوَاقِبَ هَذِهِ الخُطَّةِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ، فَمَنْ عِنْدَهُ خُطَّةٌ أَحْسَنُ مِنْهَا؟.

قَالَ سَجِينٌ آخَر:

نُحْدِثُ ثُقْبًا في سَقْفِ القَاعَةِ، لِنَخْرُجَ إِلَى السَّطْحِ، ومن هُنَاكَ يَتِمُّ الفِرَارُ.

فَرَدَّ عَلَيْهِ سَجِينٌ آخَرُ قَائِلاً:

لَـكنْ سَـقْفُ الـقَاعَـة سَـمِيـكٌ، يَسْـتَـحِيلُ إِحْدَاثُ ثُقْبٍ فِيهِ، بِمَا لَدَيْنَا منَ وَسَائِلَ.

خَيَّمَ الصَّمْتُ على الجَمِيعِ، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ من التَّفْكِيرِ، قَالَ مصطفى:

مَـا رَأْيُـكُمْ لَـوْ نُـحْدِثُ ثُـقْبًـا فِي أَرْضِـيَّةِ القَاعَـة، بِكَيْفِيَّةٍ لاَ يَظْهَرُ مَعَهَا أَثَرُ الحَفْرِ، ونُتْبِعُهُ بِحَفْرِ نَفَقٍ نَحْوَ المَخْزِنِ المُجَاوِرِ لِنَسْتَعِينَ بِمَا نَعْثُرُ عَلَيْهِ من مُهْمَلاَتٍ على تَسَلُّقِ الجِدَارِ الخَارِجِيّ.

فَقَالَ أَحَدُ الحَاضِرِينَ:

هَـذِه خُـطَّـةٌ مُـحْـكَمَـةٌ، لَـكِنْ مِنْ أَيْنَ لَـنَا بِوَسَائِلِ التَّنْفِيذِ؟.

حِينَئِذٍ، بَدَأَ الجَمِيعُ يَنْظُرُونَ فِيمَا حَوْلَهُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ:

هَا هِيَ ذِي حَدِيدَةٌ مُثَبَّتَةٌ بِشُبَّاكِ النَّافِذَةِ،

يُمْكنُ نَزْعُهَا لِلْحَفْرِ، وَقَالَ آخَر: وَبِالبَابِ حَدِيدَةٌ مِثْلُهَا.

فَقَالَ مصطفى:

وَبِسَاحَةِ السِّجْنِ حَجَرَةٌ صَمَّاءُ نَسْتَعْمِلُهَا كَمِطْرَقَةٍ.

فَقَالَ سَجِينٌ آخَر: ومَاذَا نَفْعَلُ بِالتُّرَابِ؟.

فَبَدَأَ الجَمِيعُ يَنْظُرُونَ إلى صَاحِبِ الفِكْرَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: نَنْقُلُهُ في جُيُوبِنَا، وفِي وَسَائِلِ النَّظَافَةِ، لنَرْمِيَهُ في المَرَاحِيضِ، ونَحْتَفِظُ بالحِجَارَةِ كَغِطَاءٍ لِلْحُفْرَةِ.

حِينَ اقْتَنَعَ أَغْلَبُهُمْ بالفِكْرَةِ، بَدَأُوا يُفَكِّرُونَ في اخْتِيَارِ الأَوْقَاتِ المُنَاسِبَةِ لِلحَفْرِ، فَلَمَّا ضَبَطُوهَا شَرَعُوا فِي ذَلِكَ، فَظَهَرَتْ أَمَامَهُمْ صُعُوبَةُ إِخْفَاءِ صَوْتِ الحَفْرِ عَنِ الحُرَّاسِ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ مصطفى بِاصْطِنَاعِ المُنَاوَشَاتِ مَعَ

الحُرَّاس، والقيَام بالغنَاء والرَّقْص، لكَي لاَ يَسْمَعُوا وَقْعَ الحِجَارَةِ عَلَى القِطَعِ الحَدِيدِيَّةِ أَثْنَاءَ الحَفْرِ.

بهَذه الوَسَائل البَسيطَة جدّا، التي وَقَعَتْ عَلَيْهَا أَيْديهمْ دَاخلَ القَاعَة، أَحْدَثُوا ثُقْبًا في أَرْضيَّتهَا الصُّلْبَة ممَّا مَكَّنَهُمْ بَعْدَ ذَلكَ منْ فَتْحِ حُفْرَة بعُمْق أَمْتَارٍ في جدَارِ القَاعَة الصُّلْبَة المَبْنيَّة بالحجَارَة الكَبيرَة. وقَدِ اسْتَمَرَّتْ هَذه المُغَامَرَةُ الخَطيرَةُ مُدَّةَ ثَمَانيَة وَعشْرينَ يَوْمًا. فَلَمَّا انْتَهُوا منَ ذَلكَ، وَصَلُوا إلى المَخْزن المُجَاور للْغُرْفَة، فَعَثَرُوا عَلَى مَوَادٍّ مُهْمَلَة، صَنَعُوا منْهَا سُلَّمًا وَحَبْلاً، ليَسْتَعْملُوهُمَا في اجْتيَاز السُّور الخَارجي للسِّجْن. وَلَمَّا صَارَ كُلُّ شَيء جَاهزًا للْقيَام بعَمَليَّة الفرَار، تَدَارَسُوا الوَقْتَ المُنَاسبَ لتَنْفيذه، فَوَقَعَ اخْتيَارُهُمْ على الوَقْت الّذي تَتمُّ فيه عَمَليَّةُ تَغْيير الحُرَّاسِ على نقَاط الحرَاسَة

الّذي كَانَ يَتمُّ مَعَ صَلاَة المَغْرب. وَبَعْدَ أنْ أدُّوا الصَّلاَةَ، وتَضَرَّعُوا إلى اللَّه ليُوَفِّقَهُمْ، شَرَعُوا في الانْتقَال من الغُرْفَة إلى المَخْزن وَبَعْدَ ذَلكَ اعْتَلُوا السُّورَ الوَاحدُ تلْوَ الآخَر، بَعْدَ إجْرَاء عَمَليَّة القُرْعَة. ورَغْمَ اللَّحظَات الرَّهيبَة التي كَانُوا يَعيشُونَهَا، لَمْ يَنْسَ القَائدُ أنْ يُزَوِّدَهُمْ بتَوْجيهَات دَقيقَة حَوْلَ كَيْفيَّة التَّشْويش عَلى حَاسَّة الشَّمِّ عنْدَ الكلاب التي قَدْ تَتْبَعُهُمْ، والمُحَافَظَة عَلَى نَشَاطَهمُ البَدَنيِّ أثْنَاءَ الرِّحْلَة الشَّاقَّة الطَّويلَة، والتَّكَتُّم الشَّديد، واتِّخَاذ المَسَالك الآمنَة، ولَوْ كَانَتْ صَعْبَةً وطَويلَةً.

ويَا لَهَا منْ عَبْقَريَّة قَدْ تَجَلَّتْ في أجْلَى صُوَرهَا ؟! فَبجُهْد عَضَليّ، وبوَسَائلَ بَسيطَة وقَليلَة تَمَّ اخْتراقُ جدار حَجَريٍّ سَميك، واعْتلاَء سُور شَاهق مَنيع، مَعَ أنَّ البُطُونَ كَانَتْ جَائعَةً والأقْدَامَ حَافيَةً والأجْسَادَ مُنْهَكَةً والجرَاحَ

نَازِفَةً؛ رَغْمَ هَذَا تَمَكَّنُوا منَ الْفرَار لأَنَّهُمْ صَبَرُوا وَثَابَرُوا وَلَمْ يَيْأسُوا، وَاتَّفَقُوا وَلَمْ يَخْتَلِفُوا وَذَلِك يَوْمَ 10 نُوفَمْبَر 1955.

أَمَّا العَدُوُّ، فَقَدْ جُنَّ جُنُونُهُ، وارْتَبَكَ في كَيْفيَّة الرَّدِّ عَلى هَذَا العَمَل البُطُولِيِّ الخَارق للعَادَة، فَلَمْ يَجدْ أَمَامَهُ إلاَّ الانْتقَامَ من الشَّعْب الأعْزَل؛ يَقْتَحمُ مَنَازلَهُ ليُكَسِّرَ ويُهَدِّمَ، ويَضْربَ من يَجدُ فيهَا ويَشْتُمَ. وأمَّا السُّكَّانُ فَغَمَرَتْهُمُ الفَرْحَةُ بنَجَاة قَائد الثَّوْرَة في الأوْرَاس ومن كَانَ مَعَهُ؛ فَوَزَّعُوا الحَلَويَّاتِ والمَشْرُوبَاتِ، وَتَبَادَلُوا التَّهَانِي والدَّعَوَاتِ.

بَعْدَ هَذه المُعَانَاة الكَبيرَة، وَصَلَ مصطفى بن بولعيد إلى الأوْرَاس، فَاسْتُقْبلَ بحَفَاوَة كَبيرَة تَليقُ بمَقَامه. وَعنْدَ اطِّلاَعه عَلَى الوَضْع العَامِّ من خلاَل إشْرَافه على عدَّة اجْتمَاعَات أَتْبَعَهَا بعدَّة جَوْلاَتٍ للاطِّلاَعِ عَلَى الحَالَة النِّظَاميَّة،

خَاضَ خلاَلَهَا عدَّةَ مَعَارِكَ بِكُلٍّ من (إيفْري البَلَحْ) وجَبَلْ (أَحْمرَ خَدُّو)، أعْطَتِ الثَّورَةَ بِالأوْرَاسِ دَفْعًا قَوِيًّا.

وفي شَهْر مَارس من عَامِ 1956، عَقَدَ اجْتِمَاعًا اسْتَمَرَّ ثَلاَثَةَ أيَّامٍ بالجَبَلِ الأزْرَق، رَسَمَ فيهِ خُطَّةَ العَمَلِ المُسْتَقْبَلِيَّة. وفي مَسَاءِ يَوْمِ الثَّانِي والعشْرِينَ من الشَّهْرِ نَفْسه جيءَ بجهَازِ إرْسَالٍ واسْتَقْبَالٍ، كَانَتْ قَدْ أَلْقَتهُ إحْدَى الطَّائِرَات الفَرَنْسيَّة، وَبَعْدَ تَشْغيله انْفَجَرَ في وَجْه الجَميع، فَفَازَ بَنْ بُولْعيد وَبَعْضُ مَنْ مَعَهُ بالشَّهَادَة، بَعْدَ أنْ نَجَا من المَوْت في أعْنَف المَعَارك، ومن حَبْلِ المَشْنَقَة وشَفْرَة المَقْصَلَة. لَقَدْ خَطَّطَ العَدُوُّ لاغْتيَاله عَلَى أعْلَى المُسْتَوَيَات مُسْتَعينًا بالمُخَابَرَاتَ، بَعْدَ أنْ أدْرَكَ خَطَرَهُ، وَعَرَفَ مَكَانَتَهُ بَيْنَ إخْوَانه، ودَوْرَهُ الكَبيرَ في إشْعَالِ لَهيبِ الثَّوْرَة، لأنَّهُ مِمَّنْ وَضَعَ أسُسَهَا،

وسَعَى إلى تَفْجِيرِهَا، وتَعْمِيمِهَا على سَائِرِ المَنَاطِقِ والأَنْحَاءِ.

لَكِنْ رَغْمَ اغْتِيَالِه بِهَذَا الأُسْلُوبِ الجَبَانِ، فَإِنَّ العَدُوَّ لَمْ يُفْلِحْ فِي مَسْعَاهُ، لأَنَّ مصطفى كَانَ أَكْثَرَ من رَجُلٍ شُجَاعٍ وَبَطَلٍ مِغْوَارٍ، لَقَدْ كَوَّنَ قَبْلَ اسْتِشْهَادِه رِجَالاً حَمَلُوا مَشْعَلَ الثَّوْرَةِ من بَعْدِه، فَقَادُوهَا من نَصْرٍ إلى نَصْرٍ مُتَخَطِّينَ كُلَّ العَقَبَاتِ والمَخَاطِرِ، حَتى حَقَّقُوا آمَالَهُ وطُمُوحَاتِه من بَعْدِه؛ لأَنَّهُ قَبْلَ أن يَغِيبَ عَنْهُمْ بِجَسَدِه غَرَسَ في نُفُوسِهِمْ بَذْرَةَ الثَّوْرَةِ، ونَفَخَ فِيهِمْ رُوحَ العَمَلِ والمُثَابَرَةِ، ووَرَّثَهُمْ أَمَانَةَ الجِهَادِ؛ فَسَارُوا عَلَى دَرْبِه حَتَّى تَحَصَّلَت الجزائر على الحُرِّيَّة والاسْتِقْلاَلِ، واسْتَرْجَعَتْ سِيَادَتَهَا التي انْتُزِعَتْ مِنْهَا بِقُوَّةِ الحَدِيدِ والنَّارِ.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار